الموت وسكراته

أبو مريم
مجدى فتحى السيد

مكتبة الصحابة
بطنطا

الطبعة الاولى

فى غرة شعبان سنة ١٤٠٦ هـ

النـاشر

مكتبة الصحابة

شارع الجنبية الغربى ـ خلف المعهد الأزهرى

طنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

إن شِئْتَ أنْ تحظى بجنةِ ربنـا وتفوزَ بالفضْلِ الكبيرِ الخَـالِدِ

فانهضْ لِفعْلِ الخيرِ وَاطْرُقْ بَابَه تجـد الإعانةَ مـن إلهٍ ماجـدِ

واعكفْ على هذا الكتابِ فإنهُ جمَعَ الفضـائلَ جَمْعَ فذٍّ ناقدِ

يهدِى إليك كلامَ أفضلِ مُرْسَلٍ فيما يُقرِّبُ من رِضَـاء الواحدِ

فَـأدِمْ قِـرَاءتَهُ بِقلْبٍ خالِصٍ وَادْعُ لكاتبـهِ وَكُلِّ مُسَـاعِدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ..

نحمده ونستعينه ونستغفره ..

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ..

من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » ..

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتقُوا رَبَّكُمُ الذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً » ..

« يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً » ..

ثم أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

* * *

مقـــدمة النـــاشر

بحمد الله وتوفيقه ، قد بدأنا سلسلة كتب الرقائق « سلسلة السلف فى إحياء قلوب الخلف » وجاء هذا الكتاب الطيب المبارك بإذن الله تعالى موفياً لغرضه متمساً عجزاً فى المكتبة الإسلامية إذ تجد فيه التبسيط مع عدم الاخلال وكذلك الالتزام بقدر الامكان على ما صح وثبت من سنة رسول خير الأنام ثم أقوال وأحوال الصحابة الكرام والتابعين والعلماء العاملين تتذكر بهــم ومنهم ما أعد لنا فى الدنيا قبل الآخرة من وعد ووعيد .

وقد قسم الأخ المكرم مجدى السيد الكتاب إلى أبواب فمنها :

- فضل ذكر الموت والاستعداد له وأحوال الناس فى ذلك .
- ما يعين على ذكر الموت وأقوال السلف فيما يعين على ذلك
- سكرات الموت وشدته .
- وأحوال الناس عند السكرات .
- حسن الظن بالله عند نزول الموت .
- النهى عن تمنى الموت .
- أقوال المحتضرين .
- علامات حسن الخاتمة .
- وعلامات سوء الخاتمة .

ثم يختم الختام متمنياً أن ينول الثـواب وان يفيق النـاس من نومهم ليعرفوا مصيرهم ويستعدوا ليوم الرحيل بقصـيدة طيبـة تبعث الهمة على العمل وتذكر الإنسان بمكانه فى الآخرة . إما إلى الجنة وإما إلى النار .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وسدد خطانا وأعاننا على استكمال هذه السلسلة « سلسلة السلف فى احياء قلوب الخلف » .

النـاشر

المقـــدمة

قال عز وجل :

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) (١) ..

نعم يا عبد الله أنت فى صراع مع الدنيا وزينتها والشيطان وأتباعه . فكن على الحذر ، لأن الأمر سيطول حتى الموت . نعم حتى الموت ألا فاعلم يا عبد الله أن ذكرى الموت تعينك على الصمود أمام الدنيا والشيطان فى آن واحد . فتفكر يا عبد الله فى الموت والبلى ، والقبر وظلمته .

* * *

قال الامام القرطبى (٢) :

تفكر يا مغرور فى الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فياللموت من وعد ما أصدقه ، ومن حاكم ما أعدله ، كفى بالموت مقرحاً للقلوب ، ومبكيا للعيون ، ومفرقاً للجماعات ، هازماً للذات وقاطعا للأمنيات ، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق وهجرك الأخ والصديق ، وأخذت من فراشك وغطوك من بعد لين اللحاف بتراب ومدر ، فياجامع المال ، والمجتهد فى البنيان ليس لك والله إلا الأكفان ، بل هى والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب .

فأين الذى جمعته من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟

كلا بل تركته إلى من لا يحمدك وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك .

* * *

---

(١) فاطر : ٥ ، ٦

(٢) التذكرة ص ١٦ جـ ١ طبعة الكليات الأزهرية .

وصدق الامام الغزالى عندما قال (٣) :

لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لاسيما وهو فى كل نفس بصدده .

كما قال بعض الحكماء : ـ كرب بيد سواك لا تدرى متى يغشاك .

وقال لقمان لابنه : ـ يا بنى أمر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك .

* * *

أخى المسلم .. أختى المسلمة :

لقد رأيت الناس وقد تكالبوا على الدنيا ، وسعوا خلفها أينما كانت ، وطلبوا دنياهم بآخرتهم . وفرحوا بالحياة الدنيا ولكن والذى نفسى بيده ما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ولهذا رأيت أن أكتب كتاباً وجيزاً ، يكون تذكرة لنفسى ، وعملا صالحاً بعد موتى ، فى ذكر الموت ، وأحوال الموتى ، وسكرات الموت . وبيان مجيئه على بغتة .

ألا « فاعلم » يا عبد الله وأنت يا أمة الله أن الموت هو الحقيقة التى لا يستطيع الإنسان مؤمناً كان أو ملحداً أن يفر منها .

إن الموت أمر فظيع وأليم . إنه هو الذى يفضح الأسرار ويهتك الأستار ، ويبدى العورات ، ويظهر الحسرات .

* * *

وصدق الحسن البصرى حيث يقول :

« فضح الموت الدنيا فلم يبق لذى لب فرحاً » .

ألا فاقرأ يا عبد الله وتيقن بأنك عن قليل محمول على خشبة إلى دار

---

(٣) احياء علوم الدين ص ٤٤٥ جـ ٤ طبعة المكتب الثقافى .

ليس فيها أم ولا والد ولا صاحبة ولا ولد ولكن هناك الأعمال الصالحة والأعمال السيئة .

عندما يتذكر الإنسان منا الموت يتضح الطريق أمامه . وتظهر تفاهة الدنيا حياله . وعندئذ يتمنى العودة لدار العمل وهى الدنيا ليستزيد من الحسنات ولو بحسنة واحدة ولكن هيهات هيهات لقد خرجت الروح من الحلقوم .

وفارقت صاحبها إلى رب كريم . إما أن يعفو عنها وهذا من لطفه وكرمه لا من عمل النفس وسعيها ، وإما أن يعاقب النفس على ما جنت يدها فى الدنيا .

فاعملوا يا عباد الله حتى تلقوا الله وأنتم على الصراط المستقيم .

اللهم اجعل عملنا هذا خالصاً لوجهك الكريم اللهم تقبله واجعله فى صحيفتنا يوم النشور اللهم لا تخزنا يوم تبعث عبادك .

اللهم آمين .



بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

فى بيان فضل ذكر الموت وحسن الاستعداد له

قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من ذكر هازم اللذات » (٤) ..

● **قال الغزالى : (٥)**

« معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى . وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ، ويتقاضى الاستعداد للآخرة ، والغفلة تدعو إلى الانهماك فى شهوات الدنيا » .

* * *

أخى المسلم .. أختى المسلمة :

اعلموا أن العبد العاقل هو الذى قد دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، ولم يتمن على الله الأمانى الغرور .

أما العبد التعيس الشقى هو الذى يتبع نفسه هواها ، ويظل يسعى فى الدنيا وهو يتمنى على الله الأمانى .

عن أبى قتادة رضى الله عنه قال مُرّ على النبى صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال « مستريح ومُستراح منه » (٦) .

---

(٤) قال الحافظ العراقى فى التعليق على الاحياء : حديث اكثروا من ذكر هازم اللذات أخرجه الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه .

(٥) احياء علوم الدين ص ٤٣٤ جـ ٤

(٦) متفق عليه .

قالوا : يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه ؟

فقال « العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله . والفاجر يستريح منه البلاد والعباد والشجر والدواب » .. نعم يا عبد الله :

عندما تذكر الموت تجد أن الهموم والغموم التى قد علت صدرك قد ذهبت ، وأن المصائب التى أوشكت أن تقتلك كمداً قد تولت عنك .

* * *

● **قال عمر بن عبد العزيز :**

إذا كنت فى سعة من العيش وأردت أن يضيق عليك فاذكر الموت . وإذا كنت فى ضيق من العيش وأردت أن يتسع عليك فاذكر الموت .

نعم إن الموت هو الحقيقة الباقية .

* * *

● **قال الدقاق رحمه الله (٧) :**

« من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء !

تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة .

ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء :

تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل فى العبادة » .

* * *

● **أخرج ابن أبى شيبة عن عون بن عبد الله قال :**

ما أحد ينزل الموت حق منزلته إلا عبد عد غدا ليس من أجله ، كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، وراج غداً لا يبلغه إنك لو ترى الأجل ومسيره ، لأبغضت الأمل وغروره .

* * *

---

(٧) التذكرة ص ١٧ جـ ١

● **وعن أبى حازم قال :**

انظر الذى تحب أن يكون معك فى الآخرة فقدمه اليوم ، وانظر الذى تكره أن يكون معك ثم فاتركه اليوم . كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ، ثم لا يضرك متى مت .

❋ ❋ ❋

● **وأخرج أبو نعيم عن عمر بن عبد العزيز :**

من قرب الموت من قلبه استكثر ما فى يديه .

إنك إن استشعرت ذكر الموت فى ليلك ونهارك ، بغض إليك كل فانٍ ، وحبب اليك كل باقٍ .

❋ ❋ ❋

● **وأخرج ابن أبى الدنيا :**

عن صفية أن امرأة شكت إلى عائشة رضى الله عنها القسوة ـ يعنى فى قلبها ـ فقالت عائشة :

ذكر الموت يرق قلبك .

❋ ❋ ❋

● **وعن الحسن :**

ما ألزم عبدٌ قلبَه ذكرَ الموت إلا صغرت الدنيا عنده ، وهان عليه جميع مَنْ فيها .

❋ ❋ ❋

● **عن قتادة قال :**

كان يقال : طوبى لمن ذكر ساعة الموت .

❋ ❋ ❋

● **وأخرج أبو نعيم عن سميط رحمه الله :**

من جعل الموت نصب عينيه ، لم يُبالِ بضيق الدنيا ولا سعتها .

* * *

● **عن كعب :**

قال : من عرف الموت ، هانت عليه المصائب .

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف وأحمد فى الزهد ، عن أبى الدرداء :

قال : من أكثر ذكر الموت ، قل حسده ، وقل فرحه .

* * *

● **قال التيمى :**

شيئان قطعا عنى لذة الدنيا :

ذكر الموت وذكر الوقوف بين يدى الله تعالى أخرجه ابن أبى الدنيا .

* * *

● **كتب احد الحكماء الى رجل من اخوانه :**

يا أخى احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده .

* * *

● **كان عمر بن عبد العزيز :**

يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

* * *

● **قال مطرف بن عبد الله :**

رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول فى وسط مسجد البصرة : قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين .

* * *

● **قال أشعث :**

كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت .

❋ ❋ ❋

● **قال الحســـن :**

ما رأيت عاقلا قط إلا أهبته من الموت حذرا وعليه حزينا .

❋ ❋ ❋

● **أخرج نعيم بن حماد (٨) عن عبد الله بن مسعود قال :**

كفى بالموت واعظا ، وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا .

❋ ❋ ❋

● **عن الربيع بن خيثم :**

أنه قيل له : كيف أصبحت يا أبا يزيد ؟ قال : أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا ، وننتظر آجالنا .

❋ ❋ ❋

● **عن عمرو بن مرة :**

قال : حضر رجلاً من أصحاب عبد الله الموت ، فجعل يقــول : الموت ، فقــالوا له : اتق الله ، فقــد كنت وكنت . فقــال : الموت ، يا ليت أمي لم تلدني .

❋ ❋ ❋

● **بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه :**

فقيل له : ما يبكيك ؟

فقال : أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي ، وإني أمسيت في صعود مهبطة ، على جنة ونار ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي .

---

(٨) الزهد لأبي نعيم بن حماد ص ٣٧ ، ٣٨

● **قال على بن ابى طالب :**

ألا أخبركم بأفضل الحسرات ، رجل جمع درهماً إلى درهم ، وقيراطاً إلى قيراط ، ثم مات وورثه غيره فوضعه فى حقه وأمسكه عن حقه .



الباب الثانى

أحوال الناس عند ذكر الموت

قد قسم الإمام الغزالى الناس عند ذكر الموت إلى طوائف ثلاث فإليك إياها :

أولا — مرتبة المنهمك فى الدنيا :

قال الغزالى [٩] : اعلم أن المنهمك فى الدنيا المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره . وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم :

« قُلْ إِنَّ الموتَ الذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ الىٰ عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » [١٠] ..

وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً .

* * *

ثانياً — مرتبة التائب :

أما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة . وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور فى كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه [١١] .

(٩) الاحياء ص ٤٣٢ جـ ٤
(١٠) سورة الجمعة : ٨
(١١) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

فإن هذا ليس يكره الموت وإنما يخاف فوات لقاء الله لقصوره وتقصيره . وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه .

وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له . لا شغل له سواه ، وإلا التحق بالمنهمك فى الدنيا . ا هـ .

وهذا يا عبد الله هو ما كان عليه السلف الصالح . بالرغم من هذا كانوا يبكون ، ويحزنون ، ويندمون ، ثم يقولون بأنهم فى حق الله مفرطون . فما بالك بنا نحن . أخرجه عبد الله بن المبارك [١٢] رحمه الله .

***

● **عن أبى الدرداء :**

قال : لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوماً واحداً الظمأ لله بالهواجر ، والسجود فى جوف الليل ، ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما ينتقى أطائب التمر .

***

● **عن بلال بن سعد عن معضد (١٣) :**

قال : لولا ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوبا [١٤] .

***

● **قال عقبة بن مسلم : (١٥) :**

ما من خصلة فى العبد أحب إلى الله تعالى من أن يحب لقاءه ، وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله تعالى منه حيث يخر ساجداً .

***

(١٢) الزهد والرقائق ص ٩٤

(١٣) معضد أبو زيد العجلى من كبار الصلحاء ــ رحمه الله تابعى ــ

(١٤) اليعسوب : أميرة النحل وهو جنس من الحشرات .

(١٥) تابعى ثقة من أهل مصرمن رجال التهذيب .

● **عن قتـادة عن عامر بن عبد قيس [١٦] :**

لما حضر [١٧] جعل يبكى فقيل له : ما يبكيك ؟

قال : ما أبكى جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن أبكى على ظمأ الهواجر ، وعلى قيام ليالى الشتاء .

أنظر يا عبد الله هكذا كانوا ، ومع ذلك كانوا يذمون أنفسـهم على تقصيرها فى جنب الله .

أما نحن الآن كما ترى نجمع ما لا نأكل ، ونأمل ما لا ندرك ، ونبنى ما لا نسكن . فهل من متعظ بالموت ؟

هل من عبد يعمل للموت ؟

هل من منيب قبل الموت ؟

هل من مخبت قبل الموت ؟

* * *

ثالثاً ـ الطائفة الأخيرة :

فهى التى تذكر الموت دائما ، وعلى كل حال .

قال الغـزالى : يذكـر الموت دائماً لأنه موعد للقائه ، والمحب لا ينسى قط موعد المولى تبارك وتعالى . ا هـ .

* * *

● **عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال :**

حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم . اللهـم إن كنت تعـلم أن الفقر أحب إلىَّ من الغنى ، والسقم أحبّ إلىَّ من الصحة ، والموت أحب الىَّ من العيش . فسهل علىَّ الموت حتى ألقاك ويعلل ذلك الإمام الغزالى بقوله :

« ليتخلص من دار العاصين ، وينتقل إلى جوار رب العالمين » ..

* * *

---

(١٦) من سادات التابعين .

(١٧) أى كان فى الاحتضار يعنى نهاية الموت .

الباب الثالث

فى ما يعين على ذكر الموت

● **عن أبى هريرة رضى الله عنه :**

قال زار النبى صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال « استأذنت ربى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنت فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فإنها تذكر الموت » (١٨) .

* * *

● **عن على رضى الله عنه :**

أنه خرج إلى المقبرة فلما أشرف عليها قال : يا أهلَ القبور أخبرونا عنكم ، أو نخبركم عنا ، أما خبر من قبلنا فالمال قد اقتسم ، والنساء قد تزوجن ، والمساكن قد سكنها قوم غيركم ، ثم قال : أما والله لو استطاعوا لقالوا : لم نَرَ زاداً خيراً من التقوى .

* * *

قال الامام القرطبى (١٩) :

ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية . فعلى أصحابها أن يعالجوها بثلاثة أمور .

أحدها :

الإقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف والترغيب ، وأخبار الصالحين . فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها .

---

(١٨) أخرجه مسلم فى صحيحه .

(١٩) التذكرة ص ٢١ جـ ١ .

الثـــانى :

ذكر الموت فيكثر من ذكر هازم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات .

جاء عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها :

أن امرأة شكت إليها قساوة قلبها .

فقالت لها : أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك . ففعلت ذلك فَرقَّ قلبها . فجاءت تشكر عائشة .

قال العلمـــاء :

تذكر الموت يردع عن المعاصى ، ويلين القلب القاسى ، ويذهب الفـرح بالدنيا ويهون المصائب فيها .

الثـــالث :

مشـــاهد المحتضرين ، فإن فى النظر إلى الميت ومشـــاهدة ســـكراته ، ونزعاته ، وتأمل صورته بعد مماته ، ما يقطع عن النفوس لذاتها ، ويطـــرد عن القلوب مسراتها ، ويمنع الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحـــة ، ويبعث على العمل ، ويزيد فى الاجتهاد والتعب .

* * *

● **الحسن البصرى :**

دخل على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كـــربه ، وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله ، بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا : الطعام يرحمك الله فقال : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم . فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه .

فهذه ثلاثة أمور لمن قسا قلبه ، ولزم ذنبه ، أن يستعين بها على دواء دائه ، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه ، فإن انتفع بها فذاك ، وإن عظم عليه ران القلب ، واستحكمت فيه دواعى الذنب ، فزيارة القبور تبلغ فى دفع ذلك ما لا يبلغه الأول ، والثانى ، والثالث .

قال الغـــزالى : (٢٠)

« وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشــكاله ــ يعنى الموت ــ وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر أحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم ، وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم ، وكيف أرملوا نساءهم ، وأيتموا أولادهم ، وضيعوا أموالهم ، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم .

وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصــله ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان يضــحك وقــد أكل الدود أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداءُ إما بالجنــة وإما بالنار » .

* * *

من أقوال السلف الصالح فى هذا

● **قال أبو الدرداء رضى الله عنه :**

إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم .

● **قال ابن مسعود رضى الله عنه :**

السعيد من وُعِظَ بغيره .

● **قال عمر بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ :**

ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تضعونه فى صدع من الأرض قد توسد التراب ، وخلف الأحباب وقطع الأسباب .

● **نظر ابن مطيع ــ رحمه الله ــ** إلى داره ذات يوم فأعجبه حسنها ثم بكى

---

(٢٠) الاحياء ص ٤٣٦ جـ ٤

فقال : والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لَقرّتْ بالدنيا أعيننا ، ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته .

***

قال أبو العتاهية :

يا عجباً للناس لو فكّروا
وحاسبوا أنفسَهُمْ أبصروا

وَعَبَرُوا الدنيا إلى غيرها
فإنما الدنيا لهم مَعْبرُ

لا فخرَ إلا فخرِ أهلِ التُّقى
غداً إذا ضَمّهُمْ المحْشَرُ

لِيعْلَمَنّ النّاسُ أن التقى
والبِرَّ كانا خَيْرَ ما يُدّخَرُ

عجبتُ للإنسانِ فى فَخْره
وهو غداً فى قبره يُقْبَرُ

ما بَالُ مَنْ أوله نطفةٌ
وجيفةٌ آخره يَفْجُرُ

أصبح لا يَمْلكُ تقديمَ مَا
يرجو وَلَا تأخِيرَ مَا يَحْذَرُ

***

الباب الرابع

سكرات الموت وشدته

اعلم يا عبد الله أن الله عز وجل قد بَيَّنَ فى كتابه أن للموت شدة ، وللموت صعوبة . وقد وصف الله تعالى شدة الموت فى أربع آيات :

الأولى قوله عز وجل :

« وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ » (٢١) ..

والثانية فى قوله جل ثناؤه :

« وَلَوْ تَرَى اذِ الظَّالِمونَ فِى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ » (٢٢)

والثالثة فى قوله تبارك وتعالى :

« فَلَوْلَا اذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ » (٢٣) ..

والرابعة فى قوله عز وجل :

« كَلَّا اذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِىَ » (٢٤) ..

وكذلك ورد فى السنة النبوية المطهرة ما يوضح تلك الحقيقة .

● **عن عائشة رضى الله عنها :**

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ، فجعل يُدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول « لا إله إلا الله إن للموت سكرات » .

---

(٢١) سورة ق : ١٩

(٢٢) سورة الانعام : ٩٣

(٢٣) سورة الواقعة : ٨٣

(٢٤) سورة القيامة : ٢٦

ثم نصب يديه فجعل يقـول « فى الرفيق الأعلى » حتى قبض ومالت يده (٢٥)

* * *

● **قال عيسى بن مريم عليه السلام : (٢٦)**

« يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هـذه السكرة » يعنى سكرات الموت .

* * *

● **قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام :**

« يا خليلى كيف وجدت الموت » قال : كسفود محمى جُعِلَ فى صوف رطب ثم جُذِبَ قال : « أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم » .

* * *

● **روى أن موسى عليه السلام :**

لما صار روحه إلى الله تعالى قال له ربه : يا موسى كيف وجدتَ الموت ؟

قال : وجدت نفسى كالعصفور الحى حين يُقلى على المقلى لا يمـوت فيستريح ولا ينجو فيطير .

* * *

ما ورد عن السلف وأحوالهم عنـد السـكرات

● **قالت عائشـة :**

لا أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

(٢٥) رواه البخارى فى صحيحه .

(٢٦) التذكرة ص ٣٠ جـ ١ والاحياء ص ٤٤٧ جـ ٤

● **وكان على رضى الله عنه :**

يحض على القتال ويقول :

إن لم تُقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون علىَّ من موت على فراش .

* * *

● **لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة :**

قال له ابنه : يا أبتاه إنك لتقول لنا ليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا لبيباً عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجد . وأنت ذلك الرجل فصف لى الموت ؟

فقال : يا بنى والله كأن جنبى فى تخت وكأن السماء قد انطبقت على الأرض وأنا بينهما ، وكأنى أتنفس من سَمِّ إبرة ، وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى .

* * *

● **قال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار :**

يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين . إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل وأخذت كل شوكة بِعِرْقٍ ، ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى .

* * *

● **قال الأوزاعى :**

بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يُبعثْ من قبره .

* * *

● **قال شداد بن أوس :**

الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ، ولو أن الميت نُشِرَ فأخبر أهلَ الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم .

● **عن زيد بن اسلم عن ابيه :**

إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله ، شُدِّد عليه من الموت ، ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة ، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفا فى الدنيا هُوِّن عليه الموت ، ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ، ثم يصير إلى النار .

* * *

● **عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :**

إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياه ، يُجازى بها عند الموت ، فيعرق لذلك جبينه .

* * *

● **عن انس رضى الله عنه :**

قال : لم يَلْقَ ابنَ آدم شدةٌ قط منذ خلقه الله أشد عليه من الموت .

* * *

● **عن الحسن قال :**

أشد ما يكون من الموت على العبد إذا بلغت الروح التراقى ، فعند ذلك يضطرب ، ويعلو أنفه .

* * *

كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشى :

أما بعــد :

فإنى أوصيك بتقوى الله سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى ، والمراقبة حيث لا يراك إلا الله عز وجل ، والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة ولا ينتفع بالندم عند نزوله ، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رقدة الموتى وَشَمِّرْ للسباق غداً ، فإن الدنيا ميدان السابقين ولا تغتر بمن أظهر النسك وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف ، واعلم يا أخى أنه لابد لى ولك

من المقام بين يدى الله تعالى ، يسألنا عن الدقيق الخفى ، وعن الجليل الخافى ، ولست آمن أن يسألنى وإياك عن وسواس الصدور ، ولحظات العيون ، والإصغاء للاستماع ، واعلم أنه لا يجزى من العمل القولُ .

* * *

فانظروا يا عباد الله :

هذا هوحال الأنبياء والأولياء وكانوا والله من العاملين والمتقين ، وقد شدد عليهم عند الموت فما بالنا نحن المنهمكين فى المعاصى .

* * *

قال الامام ابن الجوزى (٢٧) :

كأنك بالعمر قد انقرض ، وهجم عليك المرض ، وفات كل مراد وغرض ، وإذا بالتلف قد عرض أخاذا :

« لَقَد كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا » (٢٨) ..

شخص البصر ، وسكن الصوت ، ولم يمكن التدارك للفوت ، ونزل بك ملك الموت قامت الروح وحاذر :

« لَقَد كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا » ..

عالجت أشد الشدائد ، فياعجبا مما تكابد .

بلغت الروح إلى التراقى ، ولم تعرف الراقى من الساقى ، ولم تَدْرِ عند الرحيل ما تلاقى ، عياذا بالله عياذاً .

« لَقَد كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا » ..

ثم درجوك فى الكفن وحملوك إلى العفن ، على العيب القبيح والأفن ، وصرت فى القبر جذاذا :

« لَقَد كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا » ..

---

(٢٧) التبصرة ص ٢٧٥ جـ ٢

(٢٨) سورة ق : ٢٢

قال الشاعر :

أَلَا أيهـا المغـرورُ مَـالَكَ تَلْعبُ
تُؤمِّـلُ آمَـالاً وَمَـوْتُكَ أقْـرَبُ

وَتَعْلَمُ أنَّ الحِـرْصَ بحْـرٌ مُبْعِـدٌ
سـفينته الدنيـا فإياكَ وَالعطَب

وَتَعْـلمُ أنَّ المـوْتَ ينقضِى مُسْرعاً
عليكَ يَقِينـاً طَعْمُـه ليسَ يَعْـذُبُ

كأنَّـكَ تُوصِى واليتَـامَى تَرَاهُـمُ
وأمهـم الثَّكْلى تنُـوحُ وَتَنـدبُ (٢٩)

***

● **كتب عمر بن عبد العزيز :**

إلى أناس من أصحابه يوصيهم فقال :

أما بعـد :

فإنى أوصيكم بتقوى الله العظيم ، والمراقبة له ، واتخذوا التقـوى والورع زاداً فإنكم فى دار عما قريب تنقلب بأهلها ، والله فى عرصات القيامة وأهوالها .

يسألكم عن الفتيل والنقير . فالله الله عباد الله .

اذكروا الموت الذى لابد منه ، واسمعوا قول الله تعالى :

« كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَانٍ » (٣٠) ..

وقوله عز وجل :

« كُلُّ نفسٍ ذَائِقَةُ الموْتِ » (٣١) ..

وقوله عز وجل :

---

(٢٩) الندب هو ارتفاع صوت النساء بالعويل والصراخ وهو أمر نهى عنه الشرع .
(٣٠) سورة الرحمن : ٢٦
(٣١) سورة آل عمران : ١٨٥

« فَكَيْفَ اذَا تَوَفَّتهمُ الملائكةُ يَضرِبُونَ وُجوهَهمْ وَأَدبَارَهُمْ » (٣٢) ..

فقد بلغنى ــ والله أعلم ــ أنهم يُضربون بسياط من نار

قال الامام القرطبى (٣٣) ..

تخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أُخذتَ من فراشك ، إلى لوح مغتسلك فغسلك الغاسل ، وألبست الأكفان ، وأوحش منك الأهل والجيران ، وبكت عليك الأصحاب والإخوان ، وقال الغاسل : أين زوجة فلان وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبداً (٣٤) .

أيهـــا النـــاس :

قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه ، وحان للغافل أن ينتبه من غفلتـــه قبل هجوم الموت بمرارة كأسه ، وقبل سكون حركاته ، وخمود أنفاسه ، ورحلته إلى قبره ، ومقامه بين أرماسه .

* * *

قال وهب بن منبــه :

إن لله مناديا ينادى كل ليلة : أبناء الخمسين هلموا للحســاب ، أبنــاء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟ أبناء السبعين عدوا أنفسكم فى الموتى .

* * *

قال ابن الجوزى (٣٥) :

كم سقى الموتُ من الحسرات كؤوساً ، كم طمس بدوراً وشـــموساً ، واستلب نعيماً ثم أعطى بؤساً ، وأذل جبابرة كانوا شوساً ، وأغمض عيونا ونكس رءوسا ، وأبدل التراب عن الثياب ملبوسا الجد الجد قبل بغتات المنايا ، البدار البدار قبل حلول الرزايا ليلحق بكم من الموت يوم ذو ظلم ينسيكم معاشرة اللذات والنعم ، ولا يبقى فى الافواه إلا طعم الندم .

---

(٣٢) سورة محمد : ٢٧

(٣٣) التذكرة ص ٣١ ، ٣٣

(٣٤) المقصود فى الدنيا فقط وربما التقوا معا فى جنة أو نار .

(٣٥) التبصرة ص ٢٣٧ جـ ٢

قال الشاعر :

سَلْ بالزمانِ خبيراً

إنى بِهِ لعليم

وَاهِى الأمانةِ ظَاعِنٌ

بالمرءِ وَهْوَ مُقيمُ

لَا تُخْدَعَنَّ بمنيةٍ

أم الخُلودُ سَقِيمُ

وإذا المنيةُ أبرَقَتْ

فَرَجاؤكَ المهْزُومُ

عشق البقاءِ وإنما

طُول الحَياةِ هُمُومُ

اللهم هَوِّنْ علينا من سكرات الموت ..

اللهم ارحمنا عند نزول الموت ..

اللهم استرنا عند بغتة الموت ..

* * *

الباب الخامس

حسن الظن بالله
عند نزول الموت

● **عن جابر قال :**

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاثة أيام :

« لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » (٣٦) ..

● **عن أنس :**

أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال : « كيف تجدك » ؟

فقال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموقف إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف (٣٧) .

❋ ❋ ❋

قال القرطبى (٣٨) :

حسن الظن بالله تعالى ينبغى أن يكون عند الموت أغلب على العبد منه فى حال الصحة ، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له .

❋ ❋ ❋

---

(٣٦) رواه البخارى فى صحيحه ومسلم .

(٣٧) ابن ماجه والترمذى وقال : هذا حديث حسن غريب وصححه الالبانى فى مختصر أحكام الجنائز ص ٧

(٣٨) التذكرة ص ٤٢

ما ورد عن السلف في هذا

● **عن ابن عمــــر رضى الله عنه انه قال :**

عمود الدين ، وغاية مجده ، وذروة سنامه : حسن الظن بالله فمن مـــات منكم وهو يحسن الظن بالله تعالى دخل الجنة مدلا يعنى منبسطا لا خوف عليه .

❊ ❊ ❊

● **عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال :**

والله الذى لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنـــه ، وذلك أن الخير بيده .

❊ ❊ ❊

● **قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :**

إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به ، وإذا كان حيا فخوفوه .

❊ ❊ ❊

● **سُئل الفضيل بن عِياض :**

أيهما أفضل الخوف أم الرجاء ؟

قال رحمه الله : الخوف أفضل من الرجاء ، ما كان العبد صحيحاً . فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف .

❊ ❊ ❊

● **قال المعتمر رحمه الله :**

قال أبى حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله وأنا حسن الظن به .

❊ ❊ ❊

● **عن حصين بن ابراهيم رحمه الله قال :**

كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت ، حتى يحسن ظنه بربه عز وجل .

❊ ❊ ❊

● **قال ثابت البنانى رحمه الله :**

كان شاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهى تقول :

يا بنى قد كنت أحذرك مصرعك هذا .

قال : يا أماه إن لى ربا كثير المعروف ، وإنى لأرجو اليوم أن لا يعدمنى بعض معروفه .

❊ ❊ ❊

● **قال زيد بن أسلم رضى الله عنه :**

يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيقال : انطلقوا به إلى النار .

فيقول : يا رب فأين صلاتى وصيامى ؟

فيقول الله عز وجل « اليوم أُقنطك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى من رحمتى » .

قال عز وجل :

« وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إلَّا الضَّالُّونَ » (٣٩) ..

❊ ❊ ❊

● **قال على رضى الله عنه :**

لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه : يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك .

❊ ❊ ❊

---

(٣٩) سورة الحجر : ٥٦

● **قال سـفيان :**

من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه لأن الله عز وجل عيَّر قوماً فقال :

« وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ الذِى ظَنَنتُمْ بِرَبكُمْ أَرْدَاكُمْ » (٤٠) ..

ومن قبل ، ومن بعد ، فقد قال الله عز وجل منادياً الخلق بذلك النـداء الربانى :

« قُلْ يَا عِبَادِى الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، انَّ اللهَ يغفرُ الذنوبَ جَمِيعاً ، انه هُوَ الغَفُورُ الرحِيمُ » (٤١) ..

* * *

عن أبى هريرة رضى الله عنه :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حيث يذكرنى ، والله ، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ومن تقرب إلىَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلىَّ يمشى أقبلت إليه أهرول (٤٢).

اللهم إنا نحسن الظن بعفوك ونحسن الظن برحمتك ومغفرتك ، فاللهم لا تحرمنا من عفوك ورحمتك ومغفرتك .

* * *

● **اللهم انا نحسن الظن بعفوك .**

ونحسن الظن برحمتك ومغفرتك .

فاللهم لا تحرمنا من عفوك ورحمتك ومغفرتك .

آمين يارب العالمين

---

(٤٠) سورة فصلت : ٢٣

(٤١) سورة الزمر : ٥٣

(٤٢) رواه الامام مسلم .

الباب السادس

النهى عن تمنى الموت

● **عن أنس رضى الله عنه :**

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنياً فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى » (٤٣) .

* * *

● **عن أبى هريرة قال :**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا يتمنين أحدكم الموت ، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه ، أنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وأنه لا يزيد المؤمن من عمره إلا خيراً (٤٤) .

* * *

● **عن أبى هريرة قال :**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسناً فلعله أن يزداد ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب (٤٥) .

* * *

---

(٤٣) أخرجه البخارى فى الصحيح ، ومسلم .
(٤٤) أخرجه مسلم فى الصحيح .
(٤٥) البخارى والنسائى .

ما ورد عن السلف فى هذا

● **عن أنس قال :**

لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتمنى الموت لتمنيناه .

***

● **عن قيس بن أبى حازم قال :**

دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات ، فقال : لولا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به .

***

● **عن سهل بن عبد الله قال :**

لا يتمنى أحدكم الموت إلا ثلاثة :

رجل جاهل بما بعد الموت ، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه ، أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل .

***

قلت :

اعلموا يا عباد الله أن ذلك النهى إنما قصد به من تمنى الموت خوفاً من مرض ، أو من فقر ، أو من عدو ، أو من مصيبة نزلت فى المال والولد . أما غير تلك الأمور فهذا له من الأقوال غير ذلك النهى .

***

● **فعن أبى هريرة رضى الله عنه :**

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه (٤٦)

***

(٤٦) البخارى فى الصحيح .

قال القرطبى (٤٧) :

فإنما هو خبر أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس ، من فساد الحال فى الدين ، وضعفه وخوف ذهابه ، لا لضر ينزل بالمرء فى جسمه ، أو غير ذلك ، من ذهاب ماله .

* * *

ومما ورد عن السلف فى تمنى الموت خوفا من الفتنة فى الدين

● **قال عمر بن الخطاب :**

اللهم قد ضعفت قوتى ، وكبرت سنى وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مقصر .

فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رضى الله عنه .

* * *

● **عن حبيب بن فضالة :**

أن أبا هريرة ذكر الموت ، فكأنه تمناه فقال بعض أصحابه : وكيف تتمنى الموت بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لأحد أن يتمنى الموت ؟ .

قال : وكيف لا أتمنى الموت ، وأنا أخاف أن تدركنى ستة : التهاون بالذنب ، وبيع الحكم ، وتقاطع الأرحام ، وكثرة الشرط ، ونشو يتخذون القرآن مزامير .

* * *

قلت :

سبحان الله فماذا تقول نحن والحال كما يعلم الجميع من فساد فى الدين والدنيا معاً فقد قطعنا الارحام ومزقنا الأحكام ، واتبعنا الكفار ، وتركنا القرآن .

---

(٤٧) التذكرة ص ١٣ جـ ١

● **عن سـفيان قال :**

يأتى على الناس زمان ، يكون الموت فيه ، أحب إلى قراء ذلك الزمان من الذهب الأحمر .

***

● **عن عبد ربه بن صالح :**

أنه دخل على مكحول فى مرض موته فقال له : عافاك الله .

فقال : كلا للحوق بمن يرجى عفوه خير من البقاء مع من لا يؤمن شره ، شياطين الإنس وإبليس وجنوده .

***

● **عن أبى عبد الله الصنابحى :**

قال : الدنيا تدعو إلى الفتنة والشيطان يدعو إلى الخطيئة ، ولقاء الله خير من الإقامة معهما .

***

● **عن أبى بكرة رضى الله عنه :**

قال : والله ما من نفس تخرج أحب إلىّ من نفسى هذه ، ولا نفس هذا الذباب الطائر ، ففزع القوم فقالوا : لم ؟

قال : أخاف أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر فيه بمعروف ولا أنهى عن منكر ، وما خير يومئذ .

***

الباب السابع

أقـــوال المحتضرين
من العلماء والصالحين والملوك

● **لما احتضر أبو بكر الصديق رضى الله عنه قالت عائشة :**

لعمـــرك ما يغنى الثـــــراء عـن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضـــاق بها الصـدر

فقال لها : ليس كذلك ولكن قولى :

« وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الموتِ بِالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ » ..

***

● **لما احتضر عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :**

ويلى وويل لأمى إن لم يرحمنى ربى .

***

● **قال أبو الدرداء عند احتضـــاره :**

ألا رجل يعمل لمثل مصرعى هذا ؟ ألا رجل يعمل لمثل ســاعتى هذه ؟ ألا رجل يعمل لمثل يومى هذا ؟ وبكى .

فقالت له امرأته : تبكى وقد صاحبتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ومالى لا أبكى ولا أدرى علام أهجم [٤٨] من ذنوبى ؟

***

---

(٤٨) أهجم بمعنى : أقر .

● لما احتضر أبو هريرة رضي الله عنه بكى

فقيل له : وما يبكيك ؟

فقال : بُعْد المفازة . وقلة الزاد . وعقبة كئود . المهبط منها إلى الجنة أو إلى النار .

* * *

● **لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال :**

أقعدونى فأقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال :

تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر وريان ، وبكى حتى علا بكاؤه وقال :

يا رب ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى ، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وَعُدْ بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك .

وقال :

ليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى وأنى لم آلِ من هذا الأمر شيئا .

* * *

● **لما حضرت سلمان رضى الله عنه :**

الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟

قال : ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب .

فلما مات سلمان نظروا فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهماً .

* * *

● **لما حضرت الوفاة الى زيد الرقاشى بكى :**

قيل : ما يبكيك ؟

فقال : أبكى على ما يفوتنى من قيام ليل ، وصيام نهار ، ثم جعل

يقول : يا يزيد من يصلى لك ؟ ومن يصوم عنك ، ومن يتقرب إلى الله عز وجل بالأعمال بعدك ؟ ويحكم يا إخوانى لا تغتروا بشبابكم ، فكأن قد حل بكم مثل ما قد حل بى .

* * *

لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال :

إلهى أمرتنى فلم أئتمر ، وزجرتنى فلم أنزجر ، غير أنى أقول لا إله إلا الله .

* * *

ولما احتضر هارون الرشيد :

حمل إلى قبره فاطلع فيه فبكى حتى ابتلت لحيته ، ثم قال : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

* * *

قال المزنى :

دخلت على الشافعى فى علته التى مات فيها فقلت له : يا أبا عبد الله كيف أصبحت ؟

قال : أصبحت من الدنيا راحلا ، ولإخوانى مفارقاً ، وبكأس المنية شارباً ، وعلى الله تعالى وارداً ، ولا أدرى نفسى تصير إلى الجنة فأهنئها أم إلى النار فأعزيها ثم بكى .

* * *

لما حضر ابراهيم النخعى :

الوفاة بكى . قيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أنتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو بالنار .

* * *

● **ولما حضرت ابن المنكدر :**

الوفاة بكى . فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : والله ما أبكى لذنب أعلم أنى أتيته ، ولكن إنى أتيت شيئاً حسبته هينا وهو عند الله عظيم .

* * *

● **ودخل الحسن**

على رجل يجود بنفسه فقال :

إن أمرا هذا أوله لجدير أن يتقى آخره ، وإن أمراً هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله .

* * *

قال ابن الجوزى (٤٩) :

يا مطلقا نفسه فيما يشتهى ويريد ، اذكر عند خطواتك المبدىء المعيد ، وخف قبح ما جرى فالملك يرى والملك شهيد .

« وَنَحْنُ اقربُ اليهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ » ..

هلا استحييت ممن يراك إذا ركبت من هواك ما تراك ، ستبكى والله عيناك مما جنت يداك ، أما تعلم أنه بالمرصاد فقل لى أين تحيد :

« وَنَحْنُ اقربُ اليهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ » ..

* * *

---

(٤٩) التبصرة ص ٢٧٠ جـ ٢

الباب الثامن

فى عـــلامات حسن الخاتمة

اعلموا يا عباد الله أن الله عز وجل قد جعل لحسن الخاتمة عـلامات ، وكذلك لسوء الخاتمة علامات . وقد كتب :

الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى :

ــ حفظه الله ــ فى هذا الأمر كلاما طويلا نقلناه كاملا ولكن من المختصر فمن أحب أن يقرأ باستفاضة فليرجع إلى الكتاب الكبير فى أحكام الجنائز قال عفا الله عنه (٥٠) :

ثم إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يستدل بها على حسن الخاتمة ، ــ كتب الله لنا بفضله ومنه ــ فأيما امرىء مات بإحداها كانت بشارة له ، ويا لها من بشارة له .

الأولى :

نطقه بالشهادة عند الموت وفيه أحاديث مذكورة فى الأصل منها قـوله صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

الثانية :

الموت يرشـح الجبين . لحديث بريـدة بن الخصيب رضى الله عنـه « أنه كان بخراسان فعاد أخاً له وهو مريض ، فوجده بالموت ، وإذا هـو بعرق جبينه ، فقال : الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « موت المؤمن بعرق الجبين » .

---

(٥٠) تلخيص أحكام الجنائز : ٢١ ــ ٢٢

الثالثة :

الموت ليلة الجمعة أو نهارها ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ، إلا وقاه الله فتنة القبر » .

الرابعة :

الاستشهاد فى ساحة القتال . قال الله تعالى :

« وَلا تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فى سَبيلِ اللهِ أمواتاً ، بَلْ أحْيَاءٌ عِنْدَ ربهِم يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بمَا آتاهم اللهُ منْ فضلهِ ، وَيَسْتبشِرُونَ بالذين لَمْ يَلْحقُوا بهم مِنْ خلفِهِم ألا خوفٌ عليهم وَلا هُمْ يحـزنونَ يَسْتبشِرونَ بنعمَةٍ منَ الله وَفضلٍ ، وَأنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المؤمنينَ » (٥١) .

ولقوله صلى الله عليه وسلم « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر ، ويحلى حلية الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويشفع فى سبعين إنساناً من أقاربه » .

الخامسة :

الموت غازيا فى سبيل الله لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الشهيد فيكم » ؟

قالوا : يا رسول الله من قتل فى سبيل الله فهو شهيد .

قال : « إن شهداء أمتى إذاً لقليل » .

قالوا : فمن هم يا رسول الله ؟

قال : « من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ، ومن مات فى البطن (٥٢) فهو شهيد ، والغريق شهيد » .

---

(٥١) سورة آل عمران : ١٦٩ ــ ١٧١

(٥٢) هو الاستسقاء وانتفاخ البطن ، وقيل هو الاسهال ، وقيل الذى يشتكى بطنه .

السادسة :

الموت بداء الطاعون لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم ولقوله عليه الصلاة والسلام « الطاعون شهادة لكل مسلم » .

السابعة :

الموت بداء البطن لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم .

الثامنة والتاسعة :

الموت بالغرق والهدم .

لقوله صلى الله عليه وسلم : « الشهداء خمسة المطعون ، والمبطون ، والغرق ، وصاحب الهدم ، والشهيد فى سبيل الله » .

العاشرة :

موت المرأة فى نفاسها بسبب ولدها .

عن عبد الله بن الصامت :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد عبد الله بن رواحة قال : فما تحوز [٥٣] له عن فراشه . فقال : أتدرى مَنْ شهداء أمتى ؟ قالوا : قتل المسلم شهادة ، قال : « إن شهداء أمتى إذاً لقليل ، قتل المسلم شهادة ، والطاعون شهادة ، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء [٥٤] شهادة » .

الحادية عشرة والثانية عشرة :

الموت بالحرق وذات الجنب [٥٥] وفيه أحاديث أشهرها :

عن جابر بن عتيك عن النبى صلى الله عليه وسلم :

الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله ؛ المطعون شهيد ، والغرق

(٥٣) أى ما تنحى .

(٥٤) المرأة تموت فى بطنها ولد .

(٥٥) هى ورم يعرض فى الغشاء المستبطن للاضلاع .

شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد والحرق شهيد ، والذى يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة .

الثالثة عشرة :

الموت بداء السل لقوله صلى الله عليه وسلم :

« القتل فى سبيل الله شهادة ، والنفساء شهادة ، والحرق شهادة ، والغرق شهادة ، والسل شهادة ، والبطن شهادة » .

الرابعة عشرة :

الموت فى سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد » .

الخامسة عشرة والسادسة عشر :

الموت فى سبيل الدفاع عن الأهل والنفس لقوله صلى الله عليه وسلم :

« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد » .

السابعة عشرة :

الموت مرابطاً فى سبيل الله .

لقوله صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » .

الثامنة عشرة :

الموت على عمل صالح . لقوله صلى الله عليه وسلم :

« من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة » .

التاسعة عشرة :

من قتله الإمام الجائر لأنه قام إليه فنصحه لقوله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » (٥٦) ا . هـ .

اعلم يا عبد الله أننا أوردنا ذلك الباب لأن الأعمال بالخواتيم .

* * *

فعن أبى هريرة :

رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ، ثم يختم له بعمل أهل الجنة » (٥٧) .

* * *

● **وعن سهل بن سعد رضى الله عنه :**

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وانه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم » (٥٨) .

فاللهم اجعلنا من أهل الجنة برحمتك ولا تجعلنا من أهل النار بمغفرتك .

* * *

---

(٥٦) أخرجه الحاكم وصححه .
(٥٧) فى صحيح مسلم .
(٥٨) البخارى فى الصحيح .

الباب التاسع

علامات سوء الخاتمة

اعلم يا عبد الله أن الله عز وجل قد جعل من عقوبات الذنوب والمعاصى سوء الخاتمة ولذلك :

قال الامام ابن القيم (٥٩) :

وإذا نظرت إلى حال كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة عقوبة لهم على أعمالهم السيئة .

* * *

قال الحافظ أبو محمد عبد الحق . (٦٠) :

واعلم أن لسوء الخاتمة ـ أعاذنا الله منها ـ أسباباً ، ولها طرق وأبواب، أعظمها الانكباب على الدنيا ، والإعراض عن الآخرة ، والإقدام والجرأة على معاصى الله عز وجل ، وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة ، ونوع من المعصية ، وجانب من الإعراض ، ونصيب من الجرأة والإقدام ، فملك قلبه ، وسبى عقله ، وأطفأ نوره ، وأرسل عليه حجبه ، فلم تنفع فيه تذكرة ، ولا نجحت فيه موعظة ، فربما جاءه الموت على ذلك ، فسمع النداء من مكان بعيد ، فلم يتبين المراد ، ولا علم ما أراد ، وإن كرر عليه الداعى وأعاد .



(٥٩) الجواب الكافى ص ٢٥٠

(٦٠) التذكرة ص ٥٢ ج ١ والجواب الكافى ص ٢٥٠.

قال القرطبى (٦١) :

ومثل هذا فى الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا ، والهم بها ، أو بسبب من أسبابها .

حكى عن بعض السماسرة جاء عند الموت فقيل له :

قل لا إله إلا الله . فجعل يقول : ثلاثة ونصف ، أربعة ونصف غلبت عليه السمسرة .

ولقد رأيت بعض الحُسَّابِ وهو فى غاية المرض ، يعقد بأصابعه ويحسب .

ـ قيل لآخر قل : لا إله إلا الله . فجعل يقول الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا والجنان الفلانى اعملوا فيه كذا .

ـ وقيل لآخر قل : لا إله إلا الله فجعل يقول : عقلك الحمارة .

ولذلك كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة خوفا شديداً .

* * *

● **بكى سفيان الثورى :**

ليلة إلى الصباح ، فلما أصبح قيل له :

كل هذا خوفاً من الذنوب ؟

فأخذ تبنة من الأرض ، وقال : الذنوب أهون من هذا .

وإنما أبكى من خوف سوء الخاتمة .

* * *

يقول ابن القيم (٦٢) معقبا على قول سفيان :

وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخذله ذنوبه عند الموت ،

---

(٦١) التذكرة ص ٥٢ جـ ١

(٦٢) الجواب الكافى ص ٢٥٢

فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنى . فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجاباً بينهم وبين الخاتمة الحسنى .

قال القرطبي (٦٣) :

وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة ، والاستقامة على مشيئته موقوفة ، والعاقبة مغيبة ، والإرادة غير مغالبة ، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ، فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله ، فمهما افتخرت بذلك ، كنت كالمفتخر بمتاع غيره ، وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من البعير ، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، فأصبحت وزهرها يابس هشيم ، إذ هبت عليها الريح العقيم ، ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم .

وأخيراً ينبغي لكل مؤمن أن يقرأ الكلمات التالية ويتفكر فيها وينظر إلى نفسه ، وإلى قلبه . فإن كان من العاصين فليرجع إلى الرب الرحيم .

* * *

قال أبو محمد عبد الحق :

واعلم أن سوء الخاتمة ــ أعاذنا الله منهــا ــ لا تكــون لمن اســتقام ظاهره وصلح باطنه ، ما سمع بهذا ولا علم به ولله الحمد ، وإنما تكون لمن له فساد في العقد (٦٤) أو إصرار على الكبائر ، واقدام على العظائم ، فربما غلب عليه ذلك حتى ينزل به الموت قبل التوبة ، فيأخذه قبل إصلاح الطوية ، ويصطلم قبل الإنابة ، فيظفر به الشيطان عند تلك الصرمة ، ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله .



(٦٣) التذكرة ص ٥٥ جـ ١

(٦٤) أي عقد السير في طاعة الله .

وعظ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله (٦٥) :

« أما بعـــد ..

فإن من أكثر من ذكـــر الموت رضى من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه » .

ومن كلامه رحمه الله :

« كل يوم تشيعون غاديا ورائحا ، قد قضى نحبه ، وقضى أجـــله ، وتغيبونه فى صدع الأرض ، تدعونه غير موسد ، ولا متعهد ، فارق الأحباب، وخلع الأسباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب مرتهنا بعمله ، فقيرا إلى ما قدم ، غنيا عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت وإنقضاء موالاته » .

« يا ساكن القبر غداً . . . ما الذى غرك من الدنيا ؟

هل تعلم أنك تبقى أو أنها تبقى لك ، أين دارك الفيحاء ، ؟

ونهرك المطرد ؟ ، وأين ثمارك ؟ وأين رقاق ثيابك ؟

وأين طيبك ؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟

أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه وهو يرشح عرقاً ويتلمظ عطشاً ، وينقلب فى سكرات الموت وغمراته ، جاء الأمر من السماء ، وجاءه من الأجل مالا يمتنع عنه . هيهات هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله ، يا مكفن الموت وحامله يا مخليه فى القبر راجعا عنه .

ليت شعرى ، كيف كنت على خشونة الثرى ؟

يا ليت شعرى بأى خديك يبدأ البلى ؟

يا مجاور الهلكات ، صرت فى محلة الأموات ،

يا ليت شعرى ، ما الذى يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا ؟ وما يأتينى به من رسالة ربى .

---

(٦٥) خامس الراشدين ص ١٥٦ ، ١٥٧ جـ ٢ .

وقال الشاعر :

نهَارُكَ يا مَغْرورُ سَهْوٌ وَغفلةٌ
وليلُكَ نومٌ ، والرَّدَى لَكَ لازِمٌ
وتعملُ فيما سَوْفَ تكرهُ غِبَّهُ
كذلِكَ فى الدُّنيا تعيشُ البهَائِمُ

* * *

قال الامام الحافظ الذهبى ـ رحمه الله ـ : (*)

ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك ونقلت إلى بيت الوحدة والظلم ، وندمت على التفريط غاية الندم فيا عجبا لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعد ومتى تضرم فالخوف فى قلبك ، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لا يهولك زجر المواعظ وإن شدد ؟

الى متى أنت بين الفتور والتوانى تتردد ؟
متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد ؟
متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد ؟
متى تكون فى الليل قائما اذا سجا ؟

أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا فى الدجى وركعوا وسجدوا وقدموا إلى بابه فى الأسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ؟

لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا ؛ وبقيت فى أعقابهم وإن لم تلحق بعد .

(*) الكبائر ص ١٠٣ طبعة الكليات الازهرية بتصرف .

قال الشـــاعر :

يَـا نائِـــمَ الليـــلِ كَمْ ترقُـــــدُ .
قُـــمْ يَا حبيبى فقـــد دَنَا الموعِـــــد

مَـــنْ نَـــامَ حتى ينقضى لَيْــــلُهُ
لَمْ يبـــلغ المنــزِل قَبْـــلَ أَنْ يجهـــد

قُـــلْ لِذَوِى الألبـــاب أهْـــلِ التُّقَى
قنطــــرة لِعَـــرْضٍ لـــكم مَوْعِـــدُ

وقال رحمــه الله (٦٦) **:**

« أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد للممات الآت ، أتطمع وأنت رهين الوساد (٦٧) فى لحاق السادات (٦٨) ، **هيهات ، هيهات ، هيهات .**

يا آملا فى زعمه اللذات احذر هجوم هازم اللذات احذر مكائده فهى كوامن فى عدة الأنفاس واللحظات .

قال الشاعر :

تَمْضِى حَـــلاوةُ مَا أَخْفيْتَ وَبَعْـــدَهَا
تَبقى عليـــــكَ مَـــرَارةُ التبعَـــاتِ

يَا حَسْرَةَ العَاصِـــين يَوْمَ مَعَادِهِـــمْ
لَوْ أنهـم سَـبَقُوا إلى الجنـــــاتِ

لَوْ لَمْ يَـكُنْ إلا الحيـــاة مِــنَ الذِى
سَــتَرَ العيـــوبَ لأكثـرُوا الحَسَرَاتِ

يا من صحيفته بالذنوب قد جفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ، أما رأيت عرائس إلى اللحود قد زُفتْ ؟

---

(٦٦) الكبائر ص ١٠٤ بتصرف .
(٦٧) المقصود النوم والكسل .
(٦٨) المقصود أهل التقوى من الأحياء .

أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت فى الأكفان ولُفَّتْ ؟
أما عاينت طور الأجسام فى الأرحام ؟
أين الأكاسرة الشجعان ؟ وأين المنعمون بالجوارى ؟
أين من اعتاد سعة القصور ؟ حُبِسَ فى القبور » .

قال الشـــاعر :

أَينْ أَهْــلُ الديـَــارِ مِــنْ قَــوْمِ نــوحٍ
ثُمَّ عَادٌ مِـــنْ بعــدِهِمْ وثمــُـــودُ
بَيْنَـمَا القَـــوْمُ فى النمَـــارق والإستب
رق أفضــتْ إلى التـــــرابِ الخُــدودُ
وَصَـــحِيحٌ أضـــحَى يَعُــودُ مريضــًا
وَهْــوَ أدنى لِلْمَــوْتِ مِمَّــنْ يَعُــــودُ

وقال رحمه الله [٦٩] :

عبادَ الله أين الذين كنزوا وجمعوا وثملوا [٧٠] من الشهوات وشبعوا ؟ جاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا .

وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا ، فهم مفترقون فى القبــور ، فإذا نفخ فى الصور اجتمعوا .

قال الشـــاعر :

وَكَيْفَ قَرّتْ لأهْـــلِ العِــلْمِ أَعْينهُــــمْ
أَوِ اسْــتَلَذوا لَذِيــذَ العَيْشِ أَوْ هَجَعُــوا
وَالمــوْتُ يُنْــذرهُمْ جَهْـــرًا عَلَانيـــــةً
أَوْ كانَ القَــوْم أســماع لَقَــد سَــمِعوا

---

(٦٩) الكبائر ص ١١٨ بتصرف .
(٧٠) المقصود سكروا وانغمسوا .

وَالنَّـارُ ضَـاحِيَةٌ لَابُدَّ مَـــــورِدُهُمْ
وَلَيسَ يَدْرُونَ مَـنْ يَنْجُـــو وَمَنْ يَقَــعُ

* * *

وقال الامام ابن الجوزى رحمه الله (٧١) :

« يا صاحب الخطايا أين الدموع الجارية ؟

يا أسير المعاصى ابك على الذنوب الماضية ؟

يا مبارزاً بالقبائح أتصبر على الهاوية ؟

يا ناسياً ذنوبه والصحف للمنسى حاوية ، أسفاً لك إذا جاءك الموت وما أَنَبْتَ (٧٢) ، واحسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت كيف تصنع إذا نودى بالرحيل ؟ وما تأهبت ، ألست الذى بارزت بالكبائر وما راقبت » .

قال الشاعر :

أَتَضْــحَكُ أيهـَـــا العَـــاصِى
وَمِثْلُكَ بالبُـــكَاءِ أَحْـــرَى؛

وَبالحُـزْنِ الطَّـــــويلِ عَلَى
الـــذِى قَدَّمتـــــــهُ أَوْلَـى؛

نَسِـيتَ قَبِيـــــحَ مَا أَسْلَفْـ
ـتَ وَالرحْمَــــــنُ لَا يَنْسَى؛

فَبَـادِرْ أيهـَـا المسْـــكِينُ
قَبْــلَ حُــلُولِ مَـا تَخْشَـــى؛

بِإقْــلَاع وَإخْــــلَاص،
لعَـــلَّ اللهَ أَنْ يَرْضَــى؛

* * *

(٧١) التبصرة جـ ١ ص ٢٨ بتصرف .
(٧٢) الانابة : العودة والرجوع والمقصود التوبة .

وقال رحمه الله (٧٣) :

« يا كثير السيئات غدا ترى عملك ، يا هاتك الحرمات ، إلى متى تديم ذلك ، أما تعلم أن الموت يسعى فى تبديد شملك ، أما تخاف أن تؤخذ على قبيح فعلك ، وا عجباً لك من راحل تركت الزاد فى غير رحلك ، أين فطنتك وتدبير عقلك ، أما بارزت بالقبيح فأين الحزن .

أما علمت أن الحق يعلم السر والعلن ؟ ستعرف خبرك يوم ترحل عن الوطن ، وستنتبه من رقادك ويزول هذا الوسن » .

* * *

قال الشاعر :

تَيقظْ فَإنكَ فى غَفْلَةٍ
يَميدُ بِكَ السُّكْرُ فِيمَنْ يميدُ

وَأَىُّ منيع يفوت البلَى
إذا كَانَ يَبلَى الصَّفا (٧٤) والحَديد

إذا الموْتُ دبت له حيلة
فَتِلكَ التى كُنْتَ مِنهَا تَحِيدُ

أَراكَ تُؤمِّلُ وَالشيبُ قَدْ
أَتَا[illegible] [illegible]ك مِنْهُ بَرِيدُ

وَتنقص فى كُلِّ [illegible]يسه
وَعِنْدكَ أَنكَ فِيهَا تَزِيدُ

* * *

وقال رحمه الله : (٧٥)

« أسفاً لغافل لا يفيق بالتعريض حتى يرى التصريح ، فانتبه لنفسه وهو

---

(٧٣) التبصرة ص ٧٣ بتصرف .
(٧٤) المقصود الصخر .
(٧٥) التبصرة ص ٨٣

فى السياق ، واشتد به الكرب والتفت الساق بالساق ، وتحير فى أمره وضاق بالخناق ، وصار أكبر شهواته توبة من شقاق هيهات مضى بأوزاره الثقيلة ، وخلا بأعماله واستودع مقيله وغيب فى الثرى وقيل لا حيلة ، وبات النـدم يلزمه وبئس اللاحى له [٧٦] » .

* * *

قال الشـاعر :

اغتَنِمْ فى الفَـرَاغِ فَضْلَ رُكُـوعٍ
فَعَسَى أن يكُـونَ مَـوْتُكَ بَغْتَـةً

كَمْ صَـحِيح رأيت مِنْ غَـيْرِ سـقم
ذهبتْ نفسُـه الصَّـحِيحَةُ فَلْتَـةً

* * *

وقال رحمه الله [٧٧] :

يا معرضا عن الهدى لا يسعى فى طلبه ، يا مشغولا بلهوه مفتونا بلعبه ، يا من قد صاح به الموت عند أخذ صاحبه « من يعمل سوءاً يجز به » [٧٨] .

« كم ليلة سهرتها فى الذنوب ، كم خطيئة أمليتها فى المكتوب كم صلاة تركتها مهملا للوجوب ، كم أسبلت ستراً على عتبة العيوب ، يا أعمى القلب بين القلوب ، ستدرى دمع من يجرى ويذوب ، ستعرف خبرك عند الحساب والمحسوب ، أين الفرار وفى كف الطالب المطلوب ، تنبه للخلاص أيهـا المسكين ، أعتق نفسك من الرق يا رهين ، احذر غرور الدنيـا فما للدنيـا يسين .

يا دائم المعاصى سجن الغفلة سجين ، تثب على الخطايا ولا وثبة تبنى ، كأنك بالموت قد برز من كمين ، وآن الأمر فوقعت فى الأنين » .

* * *

---

(٧٦) اللاحى : العائب .
(٧٧) المصدر السابق ص ١٤٨
(٧٨) سورة النساء : ١٢٣

وقال رحمه الله : (٧٩)

« واعجبا لنفس الموتُ موئلها ، والقبر منزلها ، واللحد مدخلها ثم يسوء عملها « ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها » (٨٠) .

كم قاطع زمانه بالتسويف ، بائع دينه بالحبة والرغيف ، مشتر للويل بتطفيف الطهيف ، يتمنى العَوْدَ إذا رأت نفسه ما يذهلها .

« وَلَنْ يُؤخِرَّ اللهُ نَفْساً اذَا جَاءَ أَجَلُهَا » ..

كم مشغول بالقصور يعمرها ، لا يفكر فى القبور ولا يذكرها ، يبيت الليالى فى فكر الدنيا ويسهرها ، يجمع الأموال إلى الأموال يثمرها ، وقع فى شراك المنايا وهو لا يبصرها ، أفٍ لدنيا هذا آخرها ، وآهٍ لأخرى هذا أولها :

« وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نفساً اذَا جَاءَ أَجَلُهَا » ..

آه لساعات شدة الكربات ، فيها غمرات ليست بنوم ولا سبات ، تنقطع فيها الأفئدة باللوم على الفوات ، وتبكى عين الأسف لما مضى من هفوات والمريض ملقى على فراش الحرقات ، فآه ثم آه من جبال حسرات يحملها

« وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً اذَا جَاءَ أَجَلُهَا » ..

لقد صاح بك الصائح بأخذ غادٍ وسلب رائحٍ ، يكفى ما مضى من قبائح فاقبل اليوم هذه النصائح فإن المسكين من يهملها .

« وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً اذَا جَاءَ أَجَلُهَا » ..

وقال الامام رحمه الله (٨١) :

« أين الوالدون وما ولدوا ، أين الجبارون ، وأين ما قصدوا أين أرباب المعاصى على ماذا وردوا ، أما جنوا ثمرات ما جنوا وحمدوا ، أما قدموا على أعمالهم فى مآلهم ووفدوا أما خلوا فى ظلمات القبور .

---

(٧٩) السابق ص ٤١٢

(٨٠) سورة المنافقون : ١١

(٨١) التبصرة ص ١٦٧ جـ ٢

بكوا والله وانفردوا ، أن ذلوا وقلوا بعد أن عتوا ومردوا ، أما طلبوا زاداً يكفى فى طريقهم ففقدوا ، أما حل الموت فحل ما عقدوا ، عاينوا والله كل ما قدموا ووجدوا ، فمنهم أقوام شقوا وأقوام سعدوا » .

قال الشـاعر : (٨٢)

لَا وَالِـد خَـــالِدٌ وَلَا وَلَـــدُ
كُلُّ جَلِيـــدٍ يَخُـونه الجَــــلَدُ

كَأَنَّ أَهْـــلَ القُبُـورِ لَمْ يَسْـكُنُوا الدُّ
ورَ وَلَـــمْ يَحْيَ منهُـــمْ أَحَـدُ

وَلَمْ يَكُـــونُوا إِلَّا كَهَيْئَتِهِــــمْ
لَمْ يُـولَدُوا قبلهَـــا وَلَمْ يلِـــدُوا

يَا مَـــنْ نَعَى مَـنْ مَضَى كَذلِكَ غَـــدَاً
تُنْعَى فَبَـادِرْ فَقَـــدْ أَتَاكَ غَــــدُ

يَا نَاسِيَ المـــوْتِ وَهْــوَ يَذْكُـرُهُ
مَالَكَ بالمـــوْتِ إِذْ أَتَـاكَ يَـدُ

دَارُكَ دَارٌ يَمُـوتُ سُـــــكانُهَا
دَارُكَ يُبْلِى جَـــدِيدَهَا الأبَـــدُ

تَبْـكِى عَلَى مَـــنْ مَضَى وَأَنتَ غَـــداً
يُـــوردُكَ المـــوْتُ فى الذِى وَرَدُوا

لَوْ كُنْتَ تَـــدْرِى مَاذَا يُرِيــدُ بِكَ الـ
ـــموْتُ لأبكَى جُنُـونَكَ السُّـــهدُ

أين الذين ملكوا ونالوا ؟ زالوا ، وستئول إلى ما إليه آلوا ، هـذا مصيرنا يا معاشر الغافلين ، واللحود بيوتنا بعد الترف واللين ، والقيـامة تجمعنا وتنصب الموازين ، والأهوال عظيمة فأين المتفكر الحزين .

---

(٨٢) لأبى العتاهية أنظر ديوانه ص ٨٥

« إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ » (٨٣) ..

الموت مسرع مجد غير رائث ، والأموال عن قليل تمضى للوارث وكأنك بوقوع الحادثات وحصاد الحارث ، يا طويل الأمل هل قلبك لابث ، لاتسمعن المحال فلست بماكث .

أيها المتيقظون وهم نائمون ، أتبنون مالا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، كونوا كيف شئتم فستنقلون .

« ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ » (٨٤) ..

يا مقيمين سترحلون ، يا مستقرين ما تتركون ، يا غافلين عن الرحيل ستظعنون ، أراكم متوطنين تأمنون المنون .

« ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ » ..

طول نهاركم تلعبون وطول ليلكم ترقدون ، والفرائض ما تؤدون وقد رضيتم عن الغالى بالدون ، لا تفعلوا ما تفعلون .

« ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ » ..

أما الأموال فتجمعون والحق فيها ما تخرجون ، وأما الصلاة فتضيعون وإذا صليتم تنقرون ، أترى هذا إلى كم يكون .

« ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ » ..

أين العتاة المتجبرون ، أين الفراعنة المسلطون ، أين أهل الخيلاء المتكبرون ، قدروا أنكم صرتم كهم أما تسمعون .

« ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ » ..

ما نفعتهم الحصون ولا رد المال المصون ، هبت زعزع الموت فكسرت الغصون ، قدروا أنكم تزيدون عليهم ولا تنقصون .

« ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ » ..

---

(٨٣) سورة الأنعام : ١٣٤

(٨٤) سورة المؤمنون : ١٥

تقلبوا من اللذات فى فنون ، وأخرجهم البطر إلى الجنـــون ، فأتاهم ما هم عنه غافلون .

« **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيونٍ** » (٨٥) ..

« **ثُمَّ إنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَميتونَ** » ..

لو حصل لكم كل ما تحبون ونما جميع ما تؤتون ، ونلتم من الأمانى ما تشتهون ، أينفعكم حين ترحلون .

« **ثُم إنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَميتونَ** » ..

إلى متى ؟ وحتى متى تنصحون وأنتم تكسبون الخطايا وتجترحون ، أأمنتم وأنتم تسرحون ذئب هلاك فلا تبرحون .

« **ثُم إنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَميتونَ** » ..

لا تفرحوا بما تفرحون فإنه لغيركم حين تطرحـــون ، وإياكم من يراكم تمرحون ، قد خسرتم إلى الآن فما تربحون .

« **ثُم إنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَميتونَ** » ..

* * *

(٨٥) سورة الدخان : ٢٥

نهـــاية انســـان
قصـــيدة وعظية

لَيسَ الغَـرِيبُ غَـرِيبَ الشَّـامِ وَاليَمَـــنِ
إنَّ الغَـــرِيبَ غَـرِيبُ اللحْـدِ وَالكَفَـنِ

تَمُـــرُّ سَـــاعَاتُ أيـَّـامٍ بِلَا نَـــدَمٍ
وَلَا بُـكَاء وَلَا خَـــــوْف وَلَا حَـزَنِ

سَـفَرِى بَعيــــدٌ وَزَادٌ لَا يبلغــــنى
وَقِسْـــــمَتِى لَمْ تَزَلْ وَالمـوْتُ يَطْلُبُنِى

مَا أَحْـــــلَمَ اللهَ عَنِّى حَيثُ أمهَـــلَنى
وَقَــدْ تمَـــادَيْتُ فى الذنْبِ وَيَسْـــتُرنى

أَنَا الذِى أَغْلَقَ الأبـْـوَابَ مُجْتَهِــــداً
عَلَى المَعَاصِى وَعَـــينُ اللهِ تَنْظُـــرُنِى

يَا زَلةً كُتِبتْ يَا غَفْـــــــــــلَةً ذَهبتْ
يَا حَسْرَةً بقيتْ فى القَـــلْبِ تَقْتُــــلُنى

دَعْ عنك عَذْلِى يَا مَـــــنْ كَانَ يَعْـــذِلُنِى
لَوْ كُنْتَ تَعْـــلَمُ مَا بِى كُنْتَ تَعْـــذُرُنِى

دَعْنِى أَنُـــوحُ عَلَى نَفْسِى وَأندِبُهَـــــــا
وَأَقطَعُ الدَّهْـــرَ بالتـــذْكَارِ وَالحَـــزنِ

دَعْنِى أسـَــحُّ دُمُوعاً لَا انقِطَاعَ لَهَـــا
فَهَـــلْ عَسَى عَبْـــرَةٌ مِنْهَـــا تُخَلِّصُنِى

كَأنَنِى بَيْنَ تِلْكَ الأهْــــلِ مُنْطَــــرِحٌ
عَلَى الفِـــرَاشِ وَأَيدِيهِـــــــــم تُقَلِّبُنِى

وَقَدْ أَتَوْا بِطَبِيبٍ كَيْ يُعَالِجُنِي
وَلَمْ أَرَ مِنْ طَبِيبِ الْيَوْمِ يَنْفَعُنِي

وَاشْتَدَّ نَزْعِي وَصَارَ الْمَوْتُ يَجْذِبُهَا
مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بِلا رِفْقٍ وَلا هُونِ

وَسَلَّ رُوحِي وَظَلَّ الْجِسْمُ مُنْطَرِحاً
عَلَى الْفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تُقَلِّبُنِي

وَغَمَّضُونِي وَرَاحَ الْكُلُّ وَانْصَرَفُوا
بَعْدَ الإِيَاسِ وَجَدُّوا فِي شِرَا كَفَنِي

وَقَامَ مَنْ كَانَ أَوْلَى النَّاسِ فِي عَجَلٍ
إِلَى الْمُغْتَسَلِ يَأْتِينِي يُغَسِّلُنِي

فَجَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَنِي
مِنَ الثِّيَابِ وَأَعْرَانِي وَأَفْرَدَنِي

وَأَسْكَبَ الْمَاءَ مِنْ فَوْقِي وَغَسَّلَنِي
غَسْلاً ثَلاثاً وَنَادَى الْقَوْمُ بِالْكَفَنِ

وَأَلْبَسُونِي ثِيَاباً لا كُمُومَ لَهَا
وَصَارَ زَادِي حَنُوطاً حِينَ حَنَّطَنِي

وَأَنْزَلُونِي فِي قَبْرِي عَلَى مَهَلٍ
وَأَنْزَلُوا وَاحِداً مِنْهُمْ يُلَحِّدُنِي

وَقَالَ هِلُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ وَاغْتَنِمُوا
حُسْنَ الثَّوَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ ذِي الْمِنَنِ

فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ لا أُمٌّ هُنَاكَ وَلا
أَبٌ شَفِيقٌ وَلا أَخٌ يُؤَنِّسُنِي

فَلا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا
وَانْظُرْ إِلَى فِعْلِهَا فِي الأَهْلِ وَالْوَطَنِ

وَانْظُرْ إلى مَنْ حَـوَى الدنيَا بأجْمَعِهـا
هَلْ رَاحَ منهـا بغير الزادِ والكَفَنِ

خُذ القَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بهَا
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إلا رَاحَةُ البَدَنِ

يا نَفْسُ كُفِّى عَن العِصْيَانِ وَاكتَسِبى
فِعْلاً جَمِيلاً لَعَل الله يَرْحَمَنى

وقال الشاعر :

تَزَودْ مِنَ التقْوَى فإنكَ لا تَدْرى
إذَا جَنّ لَيْلٌ هَلْ تعيشُ إلى الفَجْرِ

فَكَمْ مِنْ فَتى أمسَى وَأصْبَحَ ضَاحِكاً
وَقَدْ نُسِجَتْ أكفَانُهُ وَهْوَ لا يَدْرِى

وَكَمْ مِنْ عَرُوسٍ زَيَّنُوهَا لزوْجهَا
وَقد قُبضت أروَاحُهُمَا لَيلَةَ القَدْرِ

وَكَم مِنْ صِغَارٍ يُرتَجَى طُولُ عُمْرِهم
وَقد أُدخلتْ أجسادُهُمْ ظُلْمَةَ القَبرِ

وَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ بغيرِ عِلَّةٍ
وَكَمْ مِن سَقِيمٍ عَاشَ حِيناً مِنَ الدهْرِ

* * *

المراجـــــع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ـ عبد الباقى ـ طبعة دار الحـديث

٣ ـ شرح الصدور ـ السيوطى ـ مؤسسة الإيمان ـ بيروت .

٤ ـ التذكرة ـ القرطبى ـ الكليات الأزهرية .

٥ ـ إحياء علوم الدين ـ الغزالى ـ المكتب الثقافى .

٦ ـ مختصر أحكام الجنائز ـ الألبانى ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان .

٧ ـ التبصرة ـ ابن الجوزى ـ مؤسسة جمال ـ بيروت

٨ ـ الزهد والرقائق ـ ابن المبارك ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

٩ ـ الكبائر ـ الذهبى ـ مكتبة الكليات الأزهرية

١٠ـ الداء والدواء ـ ابن القيم ـ مطبعة المدنى

١١ـ خامس الراشدين ـ أحمد الشرباصي ـ دار الشعب

الفهـــرس

تم الكتاب وربنـــا محمـــود ولـه المـــكارم والعـــلا والجود

وعلى النبي محمــــد صلواته ما ناح قمــري وأورق عـــود

وكان الفراغ من طبعه ومراجعته بعون الله تعالى على يد العبد الفقير الى عفو الله سبحانه وتعالى :

أبو حذيفة ابراهيم بن محمد

رقم الايداع : ٢١٢٣ / ١٩٨٦